من تجليات الشجاعة العربية
" المجاز" أنموذجا"

د.عبد المطلب بوغرارة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المداخلة:

من خواص اللغة العربية أنها لغة تعتمد على وعي المتكلم بها والمستقبل لها، وهو الأمر الذي يجعل المتكلم بالعربية يتصرف فيها بما لا ينبو عن إدراك السامع، والعربية أتاحت للمتكلم مسالك متنوعة تشجع المتكلم بها على أن يسلكها ورغم دقتها وعمقها وصعوبتها إلا أن العالِـمين بهذه اللغة قد ألفوا طرائقها.

ويعدُّ المجاز جادة مسلوكة عند العرب حققت به مآرب جمة، وأعطى للعربية فسحة في التعبير بها، وقد وقف محمود شاكر من قضية المجاز موقفا محمودا في بيان حقيقته وأهميته في اللغة العربية.

وهذه ورقة مقدمة لبيان هذا الجهد المتميز الجدير بالإبراز ليقف القارئ على دراسة المجاز بأسلوب يظهر دفين القضية، ويسفر عن وجهها الخبيء وفيها:

تعريف مقتضبٌ بالأستاذ محمود شاكر

مفهوم المجاز عند محمود شاكر

آفات المجاز، والمخرج منها.

الكلمات المفتاحية:

المجاز – الشجاعة العربية – محمود شاكر

Summary translation:

The Arabic language stands out for its reliance on the speaker's awareness of their audience. This unique feature often leads Arabic speakers to communicate in ways that surpass their listeners'

expectations. Despite its complexity, precision, and depth, scholars have devised various techniques to master this intricate language. Metaphor holds great significance among Arab speakers as it allows for extensive expression within the confines of Arabic. Mahmoud Shakir made commendable efforts in elucidating the true essence and importance of metaphors within the realm of the Arabic language. This paper aims to shed light on this remarkable endeavor by providing readers with an insight into studying metaphors—an approach that unveils their profound nature—covering:

- A concise overview of Professor Mahmoud Shakir
- The concept of metaphor according to Mahmoud Shakir
- Common pitfalls associated with metaphors and strategies for overcoming them.

المطلب الأول: نبذة عن حياة الأستاذ محمود شاكر [1]

هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضى الله عنهما.

ولد في الإسكندرية في ليلة العاشر من محرم سنة 1327 هـ / 1 فبراير 1909 م، وانتقل إلى القاهرة في نفس العام مع والده إذ تم تعيين والده وكيلا للجامع الأزهر.

نشأ الشيخ محمود شاكر في بيئة متدينة، إذ كان أبوه كبيرا لعلماء الإسكندرية ثم وكيلا للجامع الأزهر. ولم يتلق إخوته تعليما مدنيا، أما هو ـ وقد كان أصغر إخوته ـ فقد انصرف إلى التعليم المدني، فتلقى أولي مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عباس في القاهرة سنة 1916 ثم بعد ثورة 1919 إلى مدرسة القربية بدرب الجماميز وهناك تأثر كثيرا بدروس الإنجليزية لاهتمامهم بها ولكونها جديدة عليه. ولما كان يقضي أوقاتا كثيرة في الجامع الأزهر فقد سمع من الشعر وهو لا يدري ما الشعر!! ومن الجدير بالذكر أنه حفظ ديوان المتنبي كاملا في تلك الفترة. وفي سنة 1921 دخل المدرسة الخديوية الثانوية ليلتحق بالقسم العلمي ويتعلق بدراسة الرياضيات. وبعد اجتياز الثانوية ـ ورغم حبه للرياضيات، وإجادته للإنجليزية ـ فضل أن يلتحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية لما شعر به من أهمية "الكلمة" في تاريخ أمته قديما، فلا بد أن يكون لها الدور الأكبر في مستقبلها، ولأنه كان من القسم العلمي فقد تعذر دخوله لكلية الآداب بداية، إلا أنه بوساطة من طه حسين لدى أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية آنذاك استطاع أن يلتحق بما يريد سنة 1926م.

وفي الجامعة استمع شاكر لمحاضرات طه حسين عن الشعر الجاهلي وهي التي عرفت بكتاب "في الشعر الجاهلي"، وكم كانت صدمته حين ادعى طه حسين أن الشعر الجاهلي منتحل وأنه كذب ملفق لم يقله أمثال امرئ القيس وزهير، وإنما ابتدعه الرواة في العصر

([1]) – ينظر في ترجمة الأستاذ محمود شاكر؛ العلامة محمود بن محمد شاكر كما عرفته- إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله إلي، تأليف : عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1442هـ، وينظر معه : من أعلام العصر الشيخ محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، بقلم أحمد شاكر، الطبعة الأولى 2001- 1422،

الإسلامي، وضاعف من شدة هذه الصدمة أن ما سمعه من المحاضر الكبير سبق له أن اطلع عليه بحذافيره في مجلة استشراقية في مقال بها للمستشرق الإنجليزي مرگليوث!

وتتابعت المحاضرات حول هذا الموضوع، وصاحبنا عاجز عن مواجهة طه حسين بما في صدره، وتمنعه الهيبة والأدب أن يقف مناقشا أستاذه، وظل على ذلك زمنا لا يستطيع أن يتكلم حتى إذا لم يعد في الصبر والتحمل بقية، وقف يرد على طه حسين في صراحة وبغير مداراة، لكنه لم يستطع أن يواجهه بأن ما يقوله إنما هو سطو على أفكار مرجليوث بلا حياء أو اكتراث.

وتولد عن شعوره بالعجز عن مواجهة التحدي خيبة أمل كبيرة فترك الجامعة غير آسف عليها وهو في السنة الثانية لأنه لم يعد يثق بها، ولم تفلح المحاولات التي بذلها أساتذته وأهله في إقناعه بالرجوع، وسافر إلى الحجاز سنة 1928 مهاجرا، وأنشأ هناك ـ بناء على طلب الملك عبد العزيز آل سعود ـ مدرسة جدة السعودية الابتدائية عمل مديرا لها، حتى استدعاه والده الشيخ فعاد إلى القاهرة سنة 1929م.

يعد شاكر على رأس قائمة محققي التراث العربي، وأطلق عليه العقاد المحقق الفنان، وإنجازاته في هذا المجال كثيرة، وهي عنوان على الدقة والإتقان، ومن أشهر الكتب التي حققها: تفسير الطبري (16 جزءا)، طبقات فحول الشعراء (مجلدان)، تهذيب الآثار للطبري (6 مجلدات). وشاكر لا يحب أن يوصف بأنه محقق لنصوص التراث العربي، وإنما يحب أن يوصف بأنه قارئ وشارح لها، وهو يكتب على أغلفة الكتب التي يقوم بتحقيقها عبارة: "قرأه وشرحه" وهذه العبارة كما يقول الدكتور محمود الربيعي "هي الحد الفاصل بين طبيعة عمله وطبيعة عمل غيره من شيوخ المحققين، إنه يوجه النص ويبين معناه بنوع من التوجيه أو القراءة التي تجعله محررا؛ لأنها قراءة ترفدها خبرة نوعية عميقة بطريقة الكتابة العربية، وهو إذا مال بالقراءة ناحية معينة أتى شرحه مقاربا، وضبطه مقنعا، وأفق فهمه واسعا، فخلع على النص بعض نفسه وأصبح كأنه صاحبه ومبدعه".

وفاته: انتقل إلى جوار ربه في الثالث من ربيع الآخر سنة 1418 هـ / 7 أغسطس سنة 1997م عن أكثر من 88 عاما.

مؤلفاته

1. المتنبي 1936.
2. القوس العذراء 1952.
3. أباطيل وأسمار 1965.
4. برنامج طبقات فحول الشعراء 1980.
5. نمط صعب ونمط مخيف 1969.
6. قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام
7. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا 1987.

تحقيقاته

1. فضل العطاء على العسر لأبي هلال العسكري.
2. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي.
3. المكافأة وحسن العقبى لأحمد بن الداية.
4. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي
5. تفسير الطبري للإمام الطبري
6. جمهرة نسب قريس وأخبارها للزبير بن بكار
7. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار للإمام الطبري.
8. دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني.
9. أسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني.

مفهوم المجاز عند محمود شاكر

ابتدأ الأستاذ محمود شاكر حديثه عن المجاز من حديثه عن اللغة وإشكاليتها، وذلك حين بيّن أن من ظن أمر اللغة بما أنها أداة بيان أن شأنها سهلٌ وواضح لاحب، وهذا ما نتلقاه العقول بالبداهة والتسليم، إلا أن مزاولة اللغة تنتهي إلى نتيجة معقدة أشد التعقيد، " ... وذلك أن اللغة ألفاظٌ، وهذه الألفاظ مركبة في جُملٍ، ومن الألفاظ والجمل يخرج المعنى، والنظرة الأولى توجب أن يكون اللفظ محدود المعنى المفرد، وأن يكون التركيب محدود

الوجوه الدالة التي تفضي إلى استحداث المعنى المركب الذي يراد إبلاغه السامعين أو القارئين"[2]

وهذه النظرة الساذجة تجاه اللغة وألفاظها ومعانيها يجابهها الأستاذ محمود شاكر مبينا بطلانها فيقول: " إنَّ أقل التأمُّل يهدي إلى بطلان هذه النظرة الأولى بطلانا يفضي أحيانا إلى اليأس من قدرة اللغات على الإبانة... ومعنى ذلك أن ادِّعاءنا أن اللغة هي أداة التفكير وأداة البيان، قضية غامضة، قضية موهمة، قضية إذا امتحنتها وجدتها غير مطابقة للواقع"[3]

ويظهر الأستاذ محمود شاكر أن اختلاف الناس لا يزال قائما على الألفاظ وعلى المعاني المركبة من تلك الألفاظ، وأن ذلك الاختلاف في الألفاظ والمعاني لم يمنع الناس من التفاهم بهذه اللغة التي لا تستقر حدود ألفاظها وحدود جملها [4]

وذلك لا يعفي الناظر في اللغة العربية من أن يصاحب الحذر والدقة في تناول الألفاظ والمعاني جميعا، اتقاء اللبس والخلط.

آفات المجاز عند محمود شاكر:

بعدما قرر الأستاذ محمود شاكر ماهية المجاز ومكانته من اللغة العربية وخطورته، انتبه الأستاذ إلى مفاسد المجاز عندما يمارس الغلط في تطبيقه على اللغة فعدد لذلك جملة من الأخطاء منها، وذلك حينما قال: " فإذا بدء المرء يفكر مستخدما لفظا ينطوي على سورة جامعة، وعرض له في إدراك هذه الروابط عارض من الوهم/

أو سوء التقدير/

أو من إساءة فهم الروابط/

أو من تغليب بعض المعاني الحادثة فيه على بعض/

([2]) – أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1434-2013 هـ: (ص 513)

([3]) – المصدر نفسه، (ص -513-514)

([4]) – المصدر نفسه، (ص 514)

أو مما شئت من وجوه أخرى كثيرة كان تفكيره مهددا بسلوك طريق غريبة يجره إليها بعض ما بنى على تفكيره....يحدث له انحياز إلى جانب من الفكر، لم يكن لينحاز إليه إذا هو بريءٌ من ذلك براءة تامة، أو بريءٌ من بعضه براءة مشوبة بالنقص... لاسيما إذا تضمن الكلام ألفاظا تنضم على صور جامعة " [5]

ففي هذا النص جملة من المخاطر التي تنجر من خلال التأويل الخاطئ للألفاظ التي تحتوي دلالتها على صورة جامعة تنطوي تحتها جملة من الصور المفردة التي تظهر دلالتها في استخدامها في سياقات متباينة، ومن جملتها [6]:

1- الانحياز إلى جانب من الفهم والتفسير، وقد بين الأستاذ ي هذا المقام أن هذه الآفة الإنسان فيها " يزيد وينقص على قدر مبلغه من كُنه الألفاظ التي يحاول أن يفسرها، ولا سيما إذا تضمن الكلام ألفاظا تنضم على صور جامعة"

2- الوهم: وهو أحد مشكلات التحصيل العلمي وبالوهم يذهب التمايز بين الخطأ والصواب، وبذلك تذهب الحقائق وتحل محلها الأوهام والأخطاء

3- سوء التقدير: وذلك فيما يتعلق بتحديد المعنى المناسب للفظ في تأويله في ضوء ما يحتمله من المعاني الصالحة إلا أن السياق لا يقبل إلا معنى محدودا صحيحا، بخلاف تحمله للمعاني فهو أكثر بكثير ولكن السياق يتطلب تقديرا واحدا صحيحا خلطه مع غيره من الاحتمالات كفيل بالجناية على الحقيقة.

4- إساءة فهم الروابط: والمراد بالروابط التي تكون بين اللفظ والمعنى، وهي المعين الأول في تحديد المعاني، ومتى أسيئ فهمها فلا شك من رجوع أثر ذلك على المعنى فسادا وبعدا.

5- تغليب بعض المعاني الحادثة على بعض: وخاصة إذا كان التعلق بالقرينة ضعيفا، إذ ليس مجرد صلاح المعنى للفظ وحده يكفي في تحديد المعاني لكثرتها كثرة تصل إلى تعارض المعاني فيما بينها

([5]) – أباطيل وأسمار، [ص516-518]

([6]) – المصدر نفسه، [517]

6- حل الإشكال بالتأويل: والتأويل مركب صعب قد لا تسلم به العاقبة إلا عن حسن تأمل وروية بالغة

7- ضعف المعرفة باللغة: وهذا آفة الآفات كلها – وقد جاء عمرو بن عبيد [7] إلى أبي عمرو بن العلاء [8] فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا أيخلف وعده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عارا ولا خلفا، والله جل وعز إذا وعد وفي، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرما وتفضلا، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب. قال: نعم، أما سمعت قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أختتي[9] من صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [10]

([7]) – رَأْسُ الْمُعْتَزِلَةِ، روى عن : أبي العالية، وأبي قلابة، والحسن. وعنه: الحمادان، وابن عيينة، وعبد الوارث، ويحيى بن سعيد القطان، وعلي بن عاصم، وعبد الوهاب الثقفي، وقريش بن أنس، وغيرهم. مات عمرو بن عبيد بطريق مكة سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقيل: سنة أربع/ تاريخ الإسلام ت بشار (3/ 941)

([8]) – كان أعلمَ باللغة وعلم القرآن والنحو في زمانه، وكان وَرِعًا، وكان يقول : كنتُ رأسًا والحسن بن أبي الحسن حيٌّ، قَالَ أَبُو عبيدة : كَانَ أَبُو عمرو أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إِلَى السقف، ثُمَّ تنسّك فأحرقها، وكان من أشراف العرب ووجوهها، مدحه الفرزدق، وغيره. (تاريخ الإسلام 263/4- وطبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الإشبيلي [ص: 159)

([9]) – أختتي : أي لا أذل ولا أخاف. وفي تهذيب الكمال: " أختشي " وفي أنباه الرواة: أختفي.

([10]) – مجالس العلماء، الزجاجي، أبو القاسم، المحقق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة : الثانية 1403 هـ - 1983 م [ص : 62].

8- قلة الأمانة على الفهم: وهذا المقام يظهر حين يعطى القياد في تحديد المعاني للأهواء المتباينة، فتجد اللفظة الواحدة حين يتعاورها طوائف ذات أهواء متباينة قد تنتهي إلى التناقض والتضاد.

9- الخبل والاضطراب والهوى، وضحالة العقل: وهذه آفات آخذ بعضها برقاب بعض متى أسلم الواحد زمامه لواحد منهن جرته إلى البقية لا محالة

ويمكننا بعد هذا التقرير أن نجعل الناس تجاه الخطأ في المجاز ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

القسم الأول: المنحاز إلى جانب من الفكر متكئا على منسأة المجاز.

القسم الثاني: المتجرد البريء من الانحياز إلى جانب من التفكير براءة تامة لاتقائه مهامه المجاز في اللفظ

القسم الثالث: والبريء بعض البراءة المشوبة بالنقص وهو أهون من الأول ودون الثاني.

وبهذا التقسيم يتبين لنا لما كان أكثر الخطأ الذي يقع فيه الناس إنما يكون من جراء التأويل المتعسف في حق المجاز، وفي هذا المقام يقول الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس، "والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة، والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات"[11]

وقد جعل الأستاذ محمود شاكر أهم المخطئين في مجاز الألفاظ طائفتين [12]:

1. الطائفة الأولى: أصحاب الفرق والملل التي دان بها الناس
2. الطائفة الثانية: مفسرو النصوص حين محاولتهم حل الإشكالات بالتأويل

([11])- التدمرية : تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق : د. محمد بن عودة السعوي، الناشر : مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة : السادسة 1421هـ / 2000م (ص : 107)

([12]) – أباطيل وأسمار [ص : 517]

كما جعل الأستاذ المتأولة من في قصورهم عن التأويل على مرتبتين:

الأولى: من خف تأويلهم

والثانية: من غلا تأويلهم

"فالإشكال عندهم ينشأ من القصور عن بلوغ كنه الألفاظ ذوات الصور الجامعة، فيحتاجون إلى تأويل هذه الألفاظ تأويلا يناسب ما عند كلٍّ منهم من قدر من القصور، فإذا قلّ القدر خفَّ التأويل، وإذا علا قدر القصور أفضى إلى الغلو في التأويل".

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى أهمية الكشف عن جهد الأستاذ محمود شاكر في كشفه عن ماهية المجاز تلك القضية المهمة في الحقل اللغوي والأصولي وفي العملية التأويلية، وظهر لنا جدارة الجهد الشاكري من خلال التتبع والاستقصاء لمفهوم المجاز والجهة التي تأتت منها صعوبة القضية، ولم يفت الأستاذ شاكر أن يبين الآفات المتكاثرة التي تتعرض من يزاول العملية التأويلية متكئا على منسأة المجاز وما يعتريه من الأخطار، كما رصد لنا أقسام الناس في العملية التأويلية المسندة إلى المجاز.

ولا يفوتني الوصية للباحثين بضرورة النظر في جهود الأستاذ محمود شاكر المعجمية والمصطلحية فإن هنالك مادة كبيرة يحسن النظر فيها ومن ثمت إظهارها وتعريضها للبحث والنظر.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 2013-1434 هـ.

2- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م.

3- مجالس العلماء، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، لطبعة: الثانية 1403 هـ - 1983 م.

4- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م.

5- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله الإشبيلي، أبو بكر، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.

6- ، العلامة محمود بن محمد شاكر كما عرفته- إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله إلي، تأليف: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1442هـ،

7- من أعلام العصر الشيخ محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، بقلم أحمد شاكر، الطبعة الأولى 2001- 1422هـ.